الفصل الثانى

الكتب والمؤلفون

العلوم والفنون التى شملتها حركة الترجمة ، أوامر محمد على بشراء وجمع الكتب اللازمة للمدارس أو للترجمة من فرنسا وإيطاليا وانجلترا وتركيا ، كان لكل مدرسة « خصوصية » مكتبة تضم أحدث الكتب الأوروبية ، الكتب التى ترجمت فى عصر محمد على كانت : ١ — لواحد من هيئات التدريس الأجنبية بالمدارس المصرية : ٢ — أو لواحد من كبار المؤلفين فى أوربا فى القرنين ١٧و١٨ ، أمثلة ، معظم الكتب ترجمت لتستعمل فى المدارس ، شواهد ، بعض الأساتذة الذين ترجمت كتبهم ؟ الدكتور كلوت بك ، كتبه التى ترجمت : بعضها للتدريس ، والبعض الآخر لخدمة الحالة الصحية فى مصر ، كتب النوع الثانى وخاصة : « كنوز الصحة » و « الدرر الغوال » تأليفهما وترجمتهما تنفيذا لرغبة محمد على ، انتشارهما بين أفراد الشعب ؟ الدكتور « برون » ترجمة موجزة له ، جهوده العلمية ، الجمعية المصرية واتصال بالعلماء الأوروبيين فى مصر ، اتصاله ببعض مشايخ الأزهر ، كتبه التى ترجمت

اتجهت الترجمة فى عصر محمد على لخدمة المدارس ، والمصانع ، والجيش ، والأسطول ، والإدارات ، أى بعبارة أصح لخدمة المنشآت الحديثة التى خلقها محمد على خلقا ؛ ولهذا نجد الكتب فى هذا العصر تترجم فى هذه العلوم والفنون :

١ — الطب البشرى [1] والطب البيطرى ، وما يتصل بهما من العلوم الطبيعية كالطبيعة والكيمياء ، والنبات والحيوان . . . الخ مما كان يدرس فى مدارس الطب ، والطب البيطرى والصيدلة والزراعة .

٢ — العلوم الرياضية من حساب وجبر وهندسة ، وهندسة وصفيه ، وميكانيكا ، وهدروليكا ، وحساب مثلثات . . . الخ مما كان يدرس فى مدارس الهندسة ، والمدارس الصناعية .

٣ — العلوم الحربية والبحرية ، وما يتصل بها من فنون الرسم والعلوم الرياضية مما كان يدرس فى المدارس الحربية والبحرية .

٤ — العلوم الاجتماعية أو الادبية كالتاريخ والجغرافيا ، والاجتماع والجيولوجيا والفلسفة والمنطق .. الخ مما كان يدرس أو يترجم فى مدرسة الألسن .

---

(١) ذكر Bowring. Op. Cit. p. 140 أن الكتب التى ترجمت فى مدرسة الطب المصرية منذ تأسيسها حتى سنة زيارته لمصر (١٨٣٧ — ١٨٣٨) كانت فى الفنون الآتية :

١ — علم التشريح ٢ — علم التشريح المرضى ٣ — الفسيولوجيا ٤ — الطبيعة ٥ — الكيمياء ٦ — النبات ٧ — المادة الطبية ٨ — علم السموم ٩ — علم الصحة ١٠ أمراض النساء والأطفال ١١ — رسائل فى التشريح العام ١٢ — علاج الاختناق ١٣ — الجراحة العسكرية ١٤ — الأربطة الجراحية ١٥ — أمراض الجلد ١٦ — قوانين المستشفيات العسكرية .

وقد ذكرنا أن السيطرة فى أوائل عهد محمد على كانت للغة الإيطالية ثم انتقلت منها للغة الفرنسية، ولهذا نجد أن الكتب الأولى القليلة التى ترجمت، نقلت عن اللغة الايطالية، ثم أصبحت الترجمة فى معظمها عن اللغة الفرنسية، والفن الوحيد الذى نقلت بعض كتبه وتعليماته عن الانجليزية هو قوانين وتعاليم الأسطول المصرى بحكم أن انجلترا لها السبق فى هذا الفن؛ أما إن نقل كتاب فى علم آخر عن هذه اللغة فقد كان يترجم عن الترجمة الفرنسية لهذا الكتاب.

وكانت الترجمة عن هذه اللغات إلى اللغتين التركية والعربية، فترجمت الكتب الحربية إلى اللغة التركية لأن معظم طلاب المدارس الحربية فى عهدها الأول كانوا من أبناء المماليك والأتراك، كما ترجمت بعض كتب خاصة فى التاريخ والسير وشئون الحكم إلى اللغة التركية إجابة لرغبة محمد على، وليطلع عليها هو، ويفيد منها، أما بقية الكتب فى الفنون والعلوم الأخرى فقد ترجمت إلى اللغة العربية لأن تلاميذ المدارس المدنية كانوا جلهم إن لم يكن كلهم من المصريين.

ومذ فكر محمد على فى خطته الاصلاحية، وبدأ ينشأ جيشه وأسطوله ومدارسه رأى أنه فى حاجة إلى كميات كبيرة من الكتب باللغتين العربية والتركية ليستعين بها أساتذة المدارس وطلابها، فاستورد الكتب الكثيرة من تركيا (أنشئت فيها الطباعة منذ سنة ١٧٢٨ م) غير أنه رأى أن معظم هذه الكتب لا ترضى أطماعه فهى كتب قديمة لا تسير مع التقدم العلمى الحديث فى أوربا فأنشأ مطبعته العربية فى بولاق وراح يسعى لجمع الكتب من كل مكان سعى العالم الهاوى[1]؛ وقد بذل الجهد كل الجهد لاختيار الكتب التى يمكن أن تفيد لنشر التعليم أو الثقافة فى مصر، أو أن تحقق ما يريده من إصلاح، أو تثقيف لعقول مساعديه من رجال الحكم الجديد.

فى سنة ١٢٢٤ هـ (١٨٠٩) أرسل عثمان نور الدين أول مبعوث مصرى إلى أوربا لتلقى العلم فى إيطاليا وظل ينتقل بينها وبين فرنسا وانحاز مدة ثمانى سنوات. ولم يعد إلى مصر إلا فى سنة ١٢٣٢ (١٨١٧)، وقبيل عودته أمره محمد على أن يشترى لحسابه من فرنسا وإيطاليا كتباً فى مختلف العلوم والفنون السياسية بمبلغ ٥٠,٠٠٠[2] روبل.

وفى سنة ١٢٣٣ (١٨١٨) أمر محمد على بشراء ٦٠٠ كتاب[3] فرنسى أخرى؛ وعند ما استدعيت بعثة مسيو بويه M. Boyer[4] الحربية إلى مصر كلف ضباطها أن يحضروا معهم مجموعة من الكتب الفرنسية فى الفنون الحربية المختلفة.

---

1) Dunne. Printing and Translations under med ali,etc. p. 328.

(٢) نشرت هذا الخبر جريدة التيمس، عدد ٤ يوليو سنة ١٨١٨، عمود ٤، أنظر: Dunne, Op. cit P. 328.note 1.

3) Catiani, Le Regne de Med.Ali. . . etc. pp. 357--69.

4) Douin, Une Mission Militaire Française auprés de Med aly. P. 23.

وهكذا دأب محمد على على سياسته فى شراء الكتب اللازمة للمدارس أو للترجمة من أوربا وتركيا منذ هذا التاريخ المبكر حتى آخر سنة من حياته ، ففى « الخامس من شهر ذى القعدة سنة ١٢٤١ (يونيو ١٨٢٥م) صدر أمر منه إلى باغوص بك يشير به إلى إرسال الكتب الأفرنجية — المختصة بتعليمات وأمور البحرية السابق تسليمها — لمكتب الجهادية »[١] .

وسرعان ماعرف هذه الرغبة جميع المحيطين بمحمد على من أجانب ومصريين فتسابقوا لاشباعها ، فمن أمثلة ذلك مافعله المسيو « دروڤتى Drovetti » قنصل فرنسا فى مصر فقد حمل إلى محمد على فى سنة ١٢٤١ (١٨٢٦) مجموعة من الكتب المختصة بعلوم وقوانين البحرية « هدية إليه » من قبل ناظر ترسانة بحرية طولون ، ففرح بها محمد على « وحصل له السرور » وصدر أمر منه فى ١٠ ذى القعدة إلى باغوص بك يرى فيه لزوم إرسال قبضة سيف وشال كشمير الى الناظر المومى إلية بصفة هدية »[٢]

وفى ١٩ ربيع الثانى سنة ١٢٤٣ (٩ نوفمبر سنة ١٨٢٧) صدر أمر من محمد على باشا « إلى أحد مندوبى مصر بلوندرة . . . أنه قد اتصل بعلمه تأليف وطبع كتاب يختص بالسفن الميرية الجارى إنشاؤها برسم الحكومة الانجليزية ، وبه مقدار المصاريف التى صرفت عليها ، وكتاب آخر يختص بتعليم الأطفال المبتدئين ، ويشير به بمشترى بعض نسخ من هذا وذاك ، وإرسالها بسرعة للزومها بطرفه . . . »[٣] .

وفى ٢٥ شوال سنة ١٢٤٤ (١٠ أبريل سنة ١٨٢٨) صدر أمر منه إلى ولده إبراهيم باشا « بأن يرسل له كتاب الاستحكامات القوية الوارد من الاستانة قبلا ، وملحق به أطلس يشتمل على ٢٤ شكلا مكملا له . . . »[٤] .

وفى وثائق عابدين شواهد كثيرة تؤيد هذه الرغبة السامية ، ففى ١٦ صفر سنة ١٢٤١ (١٩ سبتمبر سنة ١٨٢٥) صدر أمر من محمد على باشا إلى صادق أفندى المقيم بالاستانة أن يحصل على كتاب فى الجراحة باللغة التركية اسمه : « شانى زاده فى فن الجراحة »[٥] .

وفى رسالة أخرى مؤرخة فى ٢٤ ربيع الأول سنة ١٢٤١ (٦ نوفمبر سنة ١٨٢٥) كلف المدعو توسيزا[٦] Tossizza أن يبحث فى محال بيع الكتب فى أزمير عن بعض الكتب التى يطلبها محمد على .

وكان يتقدم إليه أحياناً بعض رجال دولتـــه يرغبون التوصية لشراء أحدث المؤلفات العلمية التى صدرت فى أوربا بعد عودتهم ، فكان محمد على يسرع بتلبية هذه الرغبة ، فقد صدر منه أمر إلى أرتين بك فى ٢٥ ذى الحجة سنة ١٢٦١ (٢٥ ديسمبر سنة ١٨٤٥) بأن « بهجت بك المهندس، أوضح بافادته المقدمة

(١) أمين سامى باشا ، تقويم النيل ، ج ٢ ، ص ٣٢٢ .
(٢) تقويم النيل ج ٢ ، ص ٣٢٣ .
(٣) المرجع السابق ص ٣٣٠ .
(٤) المرجع السابق ص ٣٤٧ .
(٥) وثائق عابدين ، دفتر رقم ٢٢ رسالة رقم ٢٠٢ ، وانظر أيضا Dunne, Op. cit P. 329
(٦) وثائق عابدين ، دفتر رقم ٢١ رسالة رقم ٢٢٠٤ .

إلىّ بأنه من بعد عودته من أوربا للآن صار نشر جملة كتب فى علم الهندسة ، وتطلب بها استحضار تلك الكتب للوقوف على ما تدون بها ، فيلزم مخابرة أسطفان أفندى (رئيس البعثة بفرنسا) عن إرسال تلك الكتب ليهجت بك وخصم أثمانها من استحقاقه » .

وفى السنة السابقة لوفاة محمد على أعد كلوت بك ولامبير بك قائمة بالمعدات والكتب الخاصة « بالمواليد الثلاثة والكيمياء والنبات فأصدر محمد على فى ٦ رجب سنة ١٢٦٣ (٢٠ يونيو سنة ١٨٤٦) أمراً إلى أرتين بك باستحضار « تلك الآلات والكتب » من فرنسا « مادامت تكون غير موجودة بالمخازن »[١] .

هذا وقد كان لكل مدرسة خصوصية مكتبة كبيرة تضم أحدث الكتب الأوروبية التى كانت تصدر حينذاك فى أوربا وإن كان معظمها باللغة الفرنسية ولمؤلفين فرنسيين ، ذكر المسيو « بروكى[٢] Brocchi » أنه شاهد أثناء زيارته لمدرسة بولاق فى سنة ١٨٢٢ مكتبة تضم مجموعة كبيرة من الكتب الأوروبية ، وعدداً من الكتب العربية والتركية المطبوعة فى الأستانة .

وقد كان محمد على يرى أن هذه الكتب وجدت فى هذه المكتبات « للترجمة منها والانتفاع بها ، لا « لحبسها وعدم الانتفاع بها » ، فقد صدر أمر منه إلى وكيل الجهادية فى ١٦ ربيع الثانى سنة ١٢٥١ (١٠ أغسطس سنة ١٨٣٥) يذكر فيه أنه « اطلع على المضبطة الصادرة فى ٦ الجارى سنة تاريخه الشاملة لاستحسان تسليم زمام مكتبة القصر العينى إلى يحيى أفندى الموجود بمدرسة الترجمة المستجدة بالأزبكية عوضاً عن الشيخ رفاعة المحال عليه محافظة تلك المكتبة ، وحيث أن الغرض من استحضار الكتب هو تسليمها لأهلها ، وللترجمة منها ، والانتفاع بها ، وحال وجودها تحت يد يحيى أفندى المذكور يكون عبارة عن حبسها وعدم الانتفاع بها فيلزم نقلها إلى محل وجود الشيخ رفاعة وإبقاؤه بوظيفة محافظ لتلك الكتب كما كان »[٣] .

ونظرة واحدة إلى قائمة الكتب التى ترجمت فى عصر محمد على تبين أن هذه الكتب كان يراعى فى اختيارها أن تكون :

١ — لواحد من هيئات التدريس الأجنبية[٤] بالمدارس المصرية .

---

(١) تقويم النيل ، ج ٢ ، ص ٥٤٦ .

(٢) Brocchi, Giornale delle osservazioni fattenel viaggi in Egitto, etc. pp. 160—1.

(٣) تقويم النيل ، ج ٢ ، ص ٤٤٨ .

(٤) Bowring, Op. Cit. p 135.

٢ — أو لواحد من كبار المؤلفين فى أوربا فى القرنين السابع عشر والثامن عشر .

يقول كلوت بك عند كلامه عن مدرسة الطب : « تقرر الرجوع إلى مصنفات الأساتذة : « كاوكيه » و « بروسيه » و « لالمان » و « ماجاندى » و « روش » و سانسون » وغيرهم من أساطين الطب الفرنسيين[1] » .

وقد ترجمت فى عصر محمد على كتب كثيرة لأشهر مشاهير علماء أوربا ومؤلفيها فى الطب والهندسة والتاريخ والجغرافيا والسياسة والمنطق . . إلخ ، نذكر منها على سبيل المثال :

١ — قواعد الأصول الطبية تأليف « فرانشسكوفافا » الأستاذ بجامعة بيزا ، طبع فى بولاق سنة ١٢٤٢ (١٨٢٦ — ١٨٢٧) .

٢ — « منتهى الأغراض فى علم شفاء الأمراض » تأليف : « بروسيه » و « سانسون » من أكبر أطباء فرنسا وقتذاك ، ترجمة يوحنا عنحورى ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٠ (١٨٣٤ — ١٨٣٥) .

٣ — « ضياء النيرين فى مداواة العينين » تأليف الطبيب الانجليزى (لورانس) وترجمه إلى العربية أحمد حسن الرشيدى ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٦ (١٨٤١م) .

٤ — أصول الهندسة تأليف لوجاندر Legendre ترجمه إلى التركية محمد عصمت أفندى ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٥ (١٨٤٠) .

٥ — « قترينه » تاريخى ، تأليف « كاسترا Castera » ترجمه إلى التركية جاكوفاكى أرجيروبولو المترجم بالديوان الخديوى ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٤٤ (١٨٢٩) .

٦ — « تاريخ نابليون » وهو مذكراته التى كتبها بنفسه حين كان منفيا فى « سانت هيلانة » ترجم عن الفرنسية إلى التركية ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٤٧هـ (١٨٣٢)

٧ — « تاريخ نابليون بونابرته » تأليف « دوق دى روفيجو Duc de Rovigo » ترجمه إلى التركية « حسن أفندى » الكاتب بديوان محمد على ، وطبع فى مطبعة سراى الاسكندرية سنة ١٢٤٩ (١٨٣٤م) .

٨ — « تاريخ دولة إيطاليا » تأليف « بوتا Botta » ترجمة عن الفرنسية إلى التركية عبد الله أفندى عزيز الكاتب بديوان محمد على ، وطبع فى مطبعة سراى الاسكندرية سنة ١٢٤٩ (١٨٣٤) .

٩ — « مطلع شموس السير فى وقائع كرلوس الثانى عشر » تأليف « فولتير Voltaire » ترجمه عن الفرنسية إلى العربية محمد أفندى مصطفى البياع أحد خريجى مدرسة الألسن وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٧هـ (١٨٤٢) — وهو تاريخ كرلوس الثانى عشر ملك أسوج (١٦٩٧ — ١٧١٨م) .

١٠ — « الروض الأزهر فى تاريخ بطرس الأكبر » تأليف « فولتير Voltaire » وتعريب أحمد عبيد الطهطاوى ، طبع فى بولاق سنة ١٢٦١ (١٨٤٥) .

---

(١) لمحة عامة إلى مصر ، ج ٢ ، ص ٦٢٠ — ٦٢١ .

١١ - « أتحاف الملوك الألبا بتقدم الجمعيات فى أوروبا » تأليف المؤرخ الانجليزى « روبرتسون Robertson » ترجمه عن الفرنسية إلى العربية خليفة أفندى محمود أحد خريجى مدرسة الألسن ، طبع فى بولاق سنة ١٢٥٨ (١٨٤٢) ، وهو مقدمة لتاريخ شارلكان الآتى .

١٢ - « أتحاف ملوك الزمان بتاريخ الامبراطور شارلكان » تأليف « وليم روبرتسون » ترجمه عن الفرنسية إلى العربية خليفة محمود ، طبع فى بولاق سنة ١٢٦٦ (١٨٥٠)

١٣ - « الدراسة الأولية فى الجغرافية الطبيعية » تأليف « مسيوفيلكس لامروس » وترجمه عن الفرنسية إلى العربية أحمد حسن الرشيدى ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٤ (١٨٣٩)

١٤ - « الجغرافية العمومية » تأليف « ملطبرون Malte Brun » ترجمه عن الفرنسية إلى العربية رفاعة رافع الطهطاوى ، طبع فى بولاق حوالى سنة ١٢٥٠ و ١٢٦٢ (١٨٣٥ و ١٨٤٦)

١٥ - « تنوير المشرق بعلم المنطق » تأليف « دى مرسيه Dumarsais » ترجمه عن الفرنسية إلى العربية خليفة محمود ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٤ (١٨٣٩)

ولم يراع المترجمون فى عصر محمد على أن يذكروا دائماً اسم المؤلف ، ولهذا ظهرت معظم الكتب وهى لاتحمل اسم مؤلفها ، بل كان يكتفى فى الغالب أن يذكر أن الكتاب ترجم عن الفرنسية [1] ؛ كذلك أهملت فى جميع الكتب المترجمة أسماء الكتب بلغاتها الأصلية ، ولم يثبت على أى كتاب عنوانه الأصلى لا بالحروف اللاتينية ، ولا بالحروف العربية ؛ بل لقد طغت على المحررين والمصححين والمترجمين تقاليد التأليف القديمة التى توجب أن تكون أسماء الكتب مسجوعة ، فاختيرت للكتب المترجمة عناوين مسجوعة ، إلا فى النادر ، وإلا أن يكون المترجم رسالة أو نبذة ؛ فإذا كان المترجم مصريا من أعضاء البعثات أو من خريجى مدرسة الألسن اختار هو الاسم على هذا النحو ، أما إن كان المترجم من طائفة المترجمين السوريين الذى حملوا عبء هذا الواجب فى أوائل عهد محمد على خاصة ، فإنه كان يترك اختيار اسم الكتاب - بعد ترجمته - للشيخ الأزهرى المنتدب لتصحيحه وتحريره ؛ يقول الشيخ مصطفى حسن كساب محرر الكتب المترجمة بمدرسة الطب البيطرى فى مقدمة أحد الكتب المترجمة فى هذا العلم . « . . وقد سميت هذا الكتاب روضة الأذكياء فى علم الفسيولوجيا » [2] ؛ ويقول نفس المحرر فى مقدمة

---

(١) أنظر مثلا : « قلائد المفاخر فى غريب عوائد الأوائل والأواخر » ترجمة رفاعة بك ، بولاق سنة ١٢٤٩ ص ٣ ، ٧ ؛ ورسالة فى علم البيطرية » ترجمة يوسف فرعون ، بولاق سنة ١٢٤٩ ؛ . « والتحفة الفاخرة فى هيئة الأعضاء الظاهرة » لنفس المترجم ، بولاق سنة ١٢٥١ هـ ؛ وتحفة القلم فى أمراض القدم ترجمة محمد عبد الفتاح ، بولاق سنة ١٢٥٢هـ ، وتاريخ الفلاسفة اليونانيين ، ترجمة السيد عبد الله افندى ، بولاق سنة ١٢٥١ هـ ... الخ ... الخ .

(٢) أنظر هذا الكتاب ، ص ١ — ٢ وهو تأليف « لافارج » أحد مدرسى مدرسى الطب ، وترجمة يوسف فرعون ، بولاق سنة ١٢٥٦ هـ .

كتاب آخر من كتب الطب البيطرى : « فجاءت — أى هذه الرساله — بعون الله مرتبة المبانى ، مهذبة المعانى ؛ وسميتها : البهجة السنية فى أعمار الحيوانات الأهلية . . »[١]

وقد كانت معظم الكتب التى ترجمت لفائدة التعليم بالمدارس الخصوصية وخاصة مدرسة الطب والهندسة ؛ من تأليف أساتذة هذه المدارس ، يقول الشيخ محمد عمر التونسى فى مقدمته لكتاب « الجواهر السنية فى الأعمال الكيماوية » أن الدكتور برون Dr Perron ألف هذا الكتاب حين كان مدرساً لمادة الكيمياء بمدرسة الطب بأبى زعبل « وألقاه على التلاميذ أولا بأول ، فاستفادت منه التلامذة فى علم الكيمياء فوائد جمة » ، ويقول « الدكتور برون » نفسه فى مقدمته لكتاب : « الأزهار البديعة فى علم الطبيعة » « وإنى لما استخدمت بمدرسة الطب البشرى معلماً للكيمياء . . . وقمت بما وجب على فيها بما تقر به العين طلب منى أن أضم لتعليم علم الكيمياء علم الطبيعة امتثلت الأمر ؛ واقتطفت من روضة كتب هذا الفن كل زهرة بديعة . . ولما كان هذا الكتاب أول مصنف ترجم من كتب الطبيعة وكائنات الجو بالديار المصرية ؛ والقصد أن تتناوله جميع المدارس وتتلقاه بحسن طوية حذفت البراهين التى تؤدى بالأشكال والأرقام الرياضية ليسهل على تلامذة المدارس الدخول فى هذه القضايا العقلية »[٢] .

وقال الشيخ محمد الهراوى فى مقدمته لكتاب « المنحة فى سياسة حفظ الصحة » : « الخواجا برنار جمع هذا الكتاب من مجلدات كبار ؛ وترجمه من الفرنساوى للعربى بالكتابة والمقال المترجم الحلبى جورجى فيدال ؛ وكنت مقيداً لتصليح ماترجم ترجمة لفظية ؛ وتوقيعه مواقع عبارات عربية . حفظاً لمقابلة الكلام عند التعليم ؛ وتسهيلا لفهمه منهم وقت التفهيم . . »[٣] .

ويقول الشيخ مصطفى حسن كساب فى مقدمته لكتاب « منتهى البراح فى علم الجراح » : « إن علم الطب من أجل العلوم قدراً . . فلهذا اعتنى بتحصيله الأجلة ؛ من علماء كل ملة ؛ وممن بذل جهده فى قراءته وأفرغ وسعه فى دراسته ؛ الطبيب الأريب . . من لاريب فى حذقه ولالبس ؛ المعلم الحاذق « برنس » الذى ألف هذا الكتاب ونمقه بأعذب خطاب ؛ وقرأه على الطلبة قراءة جميلة ، وأوضح لهم مسائله الجليلة فى المدرسة البيطرية . . إلخ »[٤] .

كذلك كانت الكتب التى كتبها كبار المؤلفين الأوروبيين فى ذلك العصر ؛ وترجمت فى مدارس محمد على ، فانها كانت تترجم فى معظمها لتلقى دروساً على الطلاب ؛ فكتاب « اللآلى البهية فى الهندسة الوصفية » « لما أكمل

---

(١) أنظر هذا الكتاب ، ص ٢ ، وهو من تأليف « جيرار » وترجمة محمد عبد الفتاح ، بولاق سنة ١٢٦٠ هـ .

(٢) أنظر هذا الكتاب ص ٤ — « وقد قام بترجمته « يوحنا عنحورى » ، وصححه الشيخ محمد الهراوى ، وطبع فى بولاق

(٣) أنظر ص ٢ — ٣ ، وهذا الكتاب من تأليف « برنار » وترجمة فيدال ، وتصحيح محمد الهراوى ؛ طبع فى بولاق سنة ١٢٤٩

(٤) أنظر من ٢ — ٣ وقد ترجم هذا الكتاب يوسف فرعون ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٦ هـ .

تعريبه وتدريسه فى مدرسة الهندسة النفيسة — المهندسخانة الخديوية — معدن النفائس الرياضية ، تداولته أيدى التصحيح ونقحته غاية التنقيح . . »[1] ثم قدم للطبعة فطبع فى بولاق سنة ١٢٦١ هـ .

ويقول أحمد فايد فى مقدمة « كتاب علم تحرك السوائل » : « حيث كانت المعارف البشرية آخذة فى التقدم على مر الأزمان . . وكان ممن ربح فى هذه العلوم اللطيفة . . المهندس بلانجيه فألف فى ذلك تأليفاً دل على غزارة عقله . . وحيث كان فريد عصره ، ووحيد دهره جناب « لامبير بك » الجليل الشأن ، ناظر مدرستنا الآن ، يستنشق أخبار تلك اللطائف ، فحين عثر على تلك المؤلفات الغريبة ، ورأى ما فيها من الفوائد الجمة العجيبة بادر بجلبها إلى الديار المصرية وأراد تدريسها بالمهندسخانة الخديوية ، وحيث كنت أنا معلى تلك العلوم فيها ، ولى الوقوف على مبانيها ومعانيها ، تبعت هذا المؤلف فى تدريسى وتقريرى ، وجعلته إمامى وسميرى ، ولما اطلعت على فرائده ، وتضلعت من فوائده ، لاح لى أن ترجم هذا الكتاب . . . فقضيت أغراضى وآمالى ، وترجمت مجلداته الأربع على التوالى . . الخ »

وقد كان للكثيرين من أساتذة مدارس محمد على نشاط ملحوظ فى التأليف فكانت كتبهم ، فى معظمها هى محاضراتهم التى يلقونها على الطلاب تجمع وتترجم ، ثم تحرر وتصحح وتطبع ، وممن ترجمت كتبهم من أساتذة مدرسة الطب مثلا :

١ — « الدكتور برنار » معلم قسم حفظ الصحة ، ألف كتاب « قانون الصحة » وترجمه إلى العربية ، جورجى فيدال ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٤٨ هـ .

« وكتاب المنحة » فى سياسة حفظ الصحة ، ترجمه جورج فيدال ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٤٩ هـ

٢ — « الدكتور سوسون » معلم الفسيولوجيا ، ألف كتاب « إسعاف المرضى من علم منافع الأعضاء » ترجمه إلى العربية على افندى هيبه ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٢ هـ .

٣ — « الدكتور لافارج » ألف كتاب « نزهة الأنام فى التشريح العام » وترجمه يوسف فرعون ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٥ هـ (١٨٤٠)

وكتاب (روضة الأذكيا فى علم الفسيولوجيا) وترجمه أيضاً يوسف فرعون ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٦ هـ (١٨٤١)

٤ — (الدكتور فيجرى) ألف كتاب (الدر اللامع فى النبات وما فيه من الخواص والمنافع) ترجمه السيد حسين غانم الرشيدى ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٧ هـ .

غير أن اثنين من هيئة التدريس فى تلك المدارس كانا أوفر نشاطا من جميع زملائهما ، وأكثر انتاجاً هما : الدكتور كلوت بك ، والدكتور برون ؛ وكلاهما تولى نظارة مدرسة الطب المصرية فى عصر محمد على .

---

(١) ص ٣

١ — الدكتور كلوت بك :

التحق الدكتور كلوت بك بخدمة محمد على فى سنة ١٨٢٥ ، فقد رأى عاهل مصر — بعد تكوين جيشه الجديد — أنه فى حاجة ماسة إلى أطباء أوروبيين للإشراف على صحة ضباطه وجنوده ، فكلف التاجر الفرنسى « تورنو Tourneau » أن يرحل فى سنة ١٨٢٥ إلى فرنسا لكى يتعاقد مع أحد الأطباء الفرنسيين ، وسافر « تورنو » واتصل بأحد أطباء « مرسيليا » وهو الدكتور « انطوان برتلمى كلوت Antoin Barthélmy Clot » ، وكتب معه شروطا تقضى بحريته فى العمل ، وأن يتبع ديانته المسيحية ، وعدم إجباره على السير مع الجيش . . إلخ »[1] ؛ وحضر « كلوت » إلى مصر فى نفس السنة (١٢٤١—١٨٢٥) وعين « جراح باشى » الجيش المصرى .

غير أنه لم يلبث أن أخلص لعمله الجديد ، ووهبه كل وقته وتفكيره فأنشأ المستشفيات العسكرية ، ومصلحة الصحة البحرية ، وفى سنة ١٢٤٢ (١٨٢٧) أنشئت مدرسة الطب المصرية تنفيذاً لرغبته ، وجعل مقرها فى أبى زعبل لتكون قريبة من معسكرات الجند .

وتخير الدكتور « كلوت » نخبة من أطباء أوربا وعلمائها الممتازين ليكونوا أساتذة المدرسة الجديدة ، غير أن الطريق لم يكن ممهداً أمامه كما سبق أن ذكرنا فقد اعترضته صعوبات جمة كان أهمها جهل الأساتذة باللغة العربية ، وجهل التلاميذ باللغات الأجنبية عامة . ولكنه بذل جهوداً جبارة للتغلب على هذه العقبة ، بدأت بأن يترجم المترجمون عن الأساتذة مايقولون ، وانتهت بترجمة الدروس التى تلقى والمراجع الطبية المختلفة وطبعها فى مطبعة بولاق ثم توزيعها على تلاميذ المدرسة .

وقد شارك « كلوت » مشاركة فعالة قوية فى حركة التأليف والترجمة التى قامت بها مدرسة الطب ، وكان أكبر عدد من الكتب الطبية التى ترجمت فى عصر محمد على من وضعه وتأليفه . وهذه هى :

١ — « العجالة الطبية فيما لابد منه لحكام الجهادية » ترجمة أوغسطين سكاكينى ، وطبع فى مطبعة مدرسة الطب بأبى زعبل فى ٢٣ صفر سنة ١٢٤٨ (٢٢ يوليو سنة ١٨٣٢)

٢ — رسالة فى الطاعون	؟ بولاق ١٢٥٠ (١٨٣٤)
٣ — رساله فى علاج الطاعون	؟ مطبعة الجهادية ١٢٥٠ (١٨٣٤)
٤ — رسالة فيما يجب اتخاذه لمنع الجرب والداء الافرنجى عن عساكر الجهادية ونسائهم	؟ مطبعة ديوان الجهادية ١٢٥١ (١٨٣٥)

(١) تاريخ كلوت بك ، ترجمة محمد لبيب البتانونى ، ص ١٠ ، وعن ترجمة حياته بالتفصيل انظر : المرجع السابق ، ص ٤ — ٤٥ . كلوت بك ، لمحة عامة إلى مصر ، ج ٢ ، ص ٥٩٣ وما بعدها ، وعزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٣٢ ، ٨٥ ، ٩٠ ، ٩٢—١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٥٩ ، ٢٥١ ، ١٦٠ . . . إلخ — إلخ .

٥ — مبلغ البراح فى علم الجراح	ترجمة يوحنا عنحورى	بولاق ١٢٥١ (١٨٣٥)
٦ — نبذة فى تطعيم الجدرى	« أحمد حسن الرشيدى	« ١٢٥٢ (١٨٣٦)
٧ — نبذة فى الفلسفة الطبيعية	الدكتور ابراهيم النبراوى	« ١٢٥٣ (١٨٣٧)
٨ — نبذة فى التشريح العام		
٩ — نبذة فى التشريح المرضى		
١٠ — رسالة فى مرض الحمى	؟	« ١٢٥٩ (١٨٤٣)
١١ — كنوز الصحة ويواقيت المنحة	ترجمة الدكتور محمد الشافعى	« ١٢٦٠ (١٨٤٤)
١٢ — الدرر الغوال فى معالجة أمراض الأطفال	« « « «	« ١٢٦٠ (١٨٤٤)

وهذه إما كتب ترجمت لتدرس فى مدرسة الطب ، كمبلغ البراح فى علم الجراح ، و « العجالة الطبية فيما لابد منه لحكماء الجهادية »[1] والنبذ الثلاث فى الفلسفة الطبيعية والتشريح العام والتشريح الطبى ، وقد طبعت هذه النبذ جميعاً فى كتيب واحد يقع فى ٧٦ صفحة وليس فى أوله أى مقدمة أو تقريظ كما جرت العادة فى الكتب المترجمة فى ذلك العصر ، إنما جاء فى الصفحة الأخيرة مايلى : « هذا آخر ماجمعه ميز اللواكلوت بك فى هذا المختصر من نبذة فى الفلسفة الطبيعية ونبذة فى التشريح المرضى لتعليم تلامذة الطب ، وقد ترجمه عن الفرنسية إلى العربية ابراهيم أفندى النبراوى حكيم أول ابن عرب (يقصد مصرى) باملائه للشيخ محمد محرم أحد المصححين قبل الطبع ، ومعه على يد مغفور المساوى محمد الهراوى »[2] .

وإما رسائل وضعها كلوت بك لخدمة الحالة الصحية فى مصر إثر انتشار الأمراض والأوبئة بها ، كرسالته عن الطاعون ، ورسالته عن علاج الطاعون فانهما صدرتا سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤م) وهى السنة التى انتشر فيها مرض الطاعون[3] فى مصر انتشاراً مخيفاً ، فبذل كلوت بك جهداً كبيراً لمحاربة هذا المرض والقضاء عليه ، فقدر له محمد على هذه الجهود خير تقدير ، وأنعم عليه بهذه المناسبة برتبة « أمير لواء » ؛ ورسالته « فى علاج الطاعون » تقع فى عشر صفحات ، وطبعت بمطبعة ديوان الجهادية فى آخر ذى الحجة سنة ١٢٥٠ هـ (٢٨ ابريل سنة ١٨٣٥) ، وقد اطلع عليها « أرباب المشورة الطبية ، وأقروها قبل طبعها ؛ وجاء فى مقدمتها « حمداً لله وقاية من الأسواء . . هذا تنبيه فيما يختص بالطاعون ، وذلك قبل أخذه فى الظهور ، يبين للأطباء

---

(١) ويقع هذا الكتاب فى ٣٥١ صفحة ، وليس به أى تقريظ ، وقد أملى المترجم — سكاكينى — بعضه للشيخ احمد الرشيدى والبعض الآخر للشيخ محمد الهراوى من محررى الكتب المترجمة بمدرسة الطب .

(٢) ص ٧٦ ، وقد تم طبع هذا الكتاب فى ٧ رجب سنة ١٢٥٠ (٩ نوفمبر سنة ١٨٣٤ م) .

(٣) عن أخبار الطاعون وانتشاره فى المدن المصرية وخاصة دمياط انظر : Caffaui. Le Régne de Med Ali, etc, t 1 .

ورؤساء المارستانات طريقة ترشدهم إلى الاحتراسات اللازمة للتوقى من هذا المرض ، وسعيه ، وانتشاره ويذكر لهم العلامات الدالة عليه ثم الوسائط التى يمكن بها مقاومته »[1] ، وهذا التنبيه يحتوى على مقدمة وثلاثة مقاصد : المقدمة فى قوانين الكورنتينا ، والمقصد الأول فى تدابير المرض الصحية ، والثانى فى علاماته ، والثالث فى معالجته .

كذلك بذل كلوت بك جهدا عظيما لمحاربة مرض الجدرى الذى كان يقضى فى مصر على حياة نحو ستين ألفاً من الأطفال كل عام ، فأشار على الحكومة باستعمال التطعيم ضد هذا المرض ، وواضح أن رسالته عن تطعيم الجدرى التى ترجمها أحمد حسن الرشيدى كتبت وترجمت لتحقيق هذا الغرض ، أما رسالته « فيما يجب اتخاذه لمنع الجرب والداء الافرنجى عن عساكر الجهادية ونسائهم » فظاهر أنه ألفها بحكم مركزه كمدير للإدارة الصحية للجيش المصرى ، وكبير أطبائه ، أو كما كان يسمى فى كتب ذلك العصر « كشاف عموم الصحة بالديار المصرية »[2] .

وقد صدرت هذه الرسالة عن « مشورة الصحة » إلى « حكماء الجهادية » ، وهى « صورة ترتيب وضعه كلوت بك باش حكماء الجهادية فى الوسائط التى يستعملها الحكماء أولاد العرب لمنع الدائين المذكورين من عساكر الجهادية ونسائهم » ، وجاء فى أولها : « قد بلغ أهل مشورة الصحة أن كثيراً من العساكر إذا لم يبادروا بايقافهما (أى المرضين) بالوسائط القوية لمنعهما عن التقدم والانتشار فاقتضى رأى أرباب المشورة المذكورة أن يأمروك [والكلام هنا موجه لكل طبيب من أطباء الجهادية] بهذه الأوامر . . . »

وهذه الرسالة تقع فى ثمانى صفحات وطبعت بخط دقيق فى حجم صغير ليمكن حملها فى الجيب والرجوع إلى ما فيها من تعليمات .

أما رسالته « فى مرض الحمى » فهى صغيرة الحجم أيضاً ، وتقع فى ١٢ صفحة ، وقد وجهها كلوت بك

---

(١) أنظر مقدمة الرسالة ، وانظر أيضا : اسكاروس ، « شىء من التاريخ والأدب فى بدء النهضة الطبية المصرية » ، البلاغ الأسبوعى ، عدد ٩٨ ، ص ٢١ ، وقد جاء فى هذه المقالة أن كلوت بك له كتابان آخران عن الطاعون هما :

١ — تعليمات خاصة بالطاعون ترجمه محمد الشافعى . Instructions sur la Peste, traduit par Chafey.

٢ — فى الطاعون ، ترجمه — الشافعى . De la Peste, traduit par Chafey.

ولكلوت بك كتاب كبير شامل باللغة الفرنسية عن هذا الطاعون ، وعن تجاربه فى مصر أثناء مكافحة هذا المرض ، طبع فى باريس سنة ١٨٤٠ فى ٤٤٠ صفحة ، ولم يترجم إلى اللغة العربية ، وعنوانه بالفرنسية .

De la Peste Observée en Egypte, Recherches et Considerations sur cette maladie.

وقد ذكر فى هذا الكتاب أسماء جميع الأساتذة الأجانب بمدرسة الطب المصرية ، وجميع الأطباء الملحقين بالجيش المصرى والبحرية المصرية الذين اشتركوا فى كفاح هذا المرض ، وعرض آراءهم وأبحاثهم الخاصة بهذا المرض عرضا مسهبا .

(٢) « صدر بيرولدى فى ٩ شوال سنة ١٢٤٩ (١٩ فبراير سنة ١٨٣٤) إلى كلوت بك بتعيينه مفتشا لعموم الصحة بديوان البحرية والجهادية ، وعضوا بمجلس شورى الأطباء ، وناظرا لمدرسة الطب البشرى والبيطرى مع مباشرة ورؤية أعمال الحكماء والأجزاجية ، ويؤكد عليه برؤية تلك المصالح المحالة لعهدته كما يجب كما هو مأمول فى صداقته المعلومة لديه » تقويم النيل ، ج ٢ ، ص ٤١٨ .

« إلى جميع ضباط الصحة أولاد العرب [يقصد المصريين] المقيمين فى مصر ، وفى غيرها من القرى ، والاوردى المحصور » ؛ وقد تكلم فيها عن أسباب الحمى وأعراضها ، ومدتها ، والحميات المتقطعة ، وطرق معالجتها ، وتدبير النقه ، ووسائط التحرز من الحمى . . الخ ، ومما جاء فيها :

« وهذه الحمى تتسلطن أيضاً فى إقليم مصر كثيراً والشام وتكون فى البلاد القريبة للبحر كبلاد البحيرة ودمياط ، ورشيد ، وخصوصاً البلاد التى على شواطىء البحيرات كالبرلس والمنزلة ؛ وزيادة تسلطها يكون بعد فيضان النيل لوجود المياه الراكدة المتخلفة من النيل فى البرك ، وتنتشر كثيراً فى هذا الاقليم إذا كان النيل زائداً لكثرة ما يوجد فى الأماكن من الرسوب الذى يتخلف من الماء ، ومعالجة هذا المرض فى الإقليم المصرى لا يختلف عن معالجة هذا المرض فى الشام ، وقد ذكرناها لكم فلا يلزم إعادتها والله الشافى » .

وجاء فى ختام الرسالة هذا التنبيه . « فعليكم أيها التلامذة العزاز أن تهتموا فى مثل هذه العوارض ، وتبذلوا جهدكم فى التمسك بما ذكرناه لكم من المعالجة الشافية والاحتراسات الصحية كى تصونوا أنفسكم ، والعساكر التى أنتم موكلون بحفظ صحتها (كذا) عن بوائق (كذا) الأمراض ، والتوسيخ فى الأعراض » .

وهناك كتابان أخيران من كتب « كلوت بك » يستحقان الالتفات والعناية والدراسة الخاصة هما : « كنوز الصحة وبواقيت المنحة » ، و « الدرر الغوال فى معالجة أمراض الأطفال » .

أما الكتاب الأول فقد ألف وترجم لغرض نبيل هو تعليم الشعب المبادىء والتعاليم الصحية ونشرها بين أفراده بأسلوب سهل قريب إلى فهم العامة ؛ وقد وضع هذا الكتاب وترجم لتحقيق هذا الغرض بإشارة ولى الأمر والنعم محمد على باشا فهو فى الواقع نفحة من نفحات تفكيره الفذ وحسن رعايته لشعبه وحبه لخدمته ؛ جاء فى مقدمة هذا الكتاب لكلوت بك « اعلم أن الطب قد فقد من الديار المصرية بعد وجدانه ، وادعى معرفته أناس به جاهلون فظلوا فى طغيانهم يعمهون فكم أسقموا صحيحاً ؟ وأماتوا عليلا ومكثوا على ذلك زمنا طويلا ، حتى أراد الله إحياء عظمه الرميم ، وانتشار فضله العظيم ، بولاية صاحب السعادات ، . . . أفندينا الحاج محمد على أدام الله أمثاله . فأنشأ فى مصر جملة مدارس ، وأحى من العلم كل رسم دارس ، وكان من أعظمها مدرسة الطب الإنسانى التى أسسها حين تشرفت بخدمته ، وعلمت فيها جملة أطباء لخدمة عساكره ، وأرباب دولته ، وألف معلموها فى الطب وفنونه كتباً جليلة ، وانتفع بها مطالعوها انتفاعات جميلة ؛ ولكن حيث أن مسائلها العلمية عثرة المنال على غير الأطبا ، لا يفهمها إلا المهرة الألبا ، جمعت هذا الكتاب من مشاهير الكتب الطبية ، وتساهلت فى ألفاظه ما أمكن ليستفيد منه أهل اللغة العامية ، وطالما كان كلام صاحب السعادة يومىء إلى ذلك ويشير ، ويرمز بظرف خفى فهمه حصير ، فلما تكرر منه ذلك فهمت الإشارة ، وبادرت بتحريره . . . الخ »[1]

(١) أنظر هذا الكتاب ، بولاق ١٢٦٠ ، ص ٥ .

وجاء فى مقدمة هذا الكتاب أيضاً لمحرر الكتاب ومصححه الشيخ محمد عمر التونسى ما يلى :

« . . . وبعد فيقول راجى رحمة المنان ، محمد التونسى بن سليمان ، محرر كتب الطب البشرى الآن : لما كانت صحة الأبدان ، من أجل ما أنعم به الجواد على العباد ، وبدونها تتعطل الأسباب ، وعبادة العباد ويبقى الجسم عليلا نحيلا ، ويحق لفاقدها أن يكثر بكاء وعويلا ، إذ لولاها لما اصطدمت الجحافل[1] ، ولا قرئت العلوم فى المحافل ، كان الواجب مراعاتها بقدر الإمكان . . . ومرام صاحب السعادة أن يكونوا (أى المصريون) بصحتهم متمتعين ، ولجلباب العافية لابسين ، فلذا أحيى الطب بعد اندراسه ، واضمحلال أهله وناسه بجلب كل طبيب نطاسى وحاذق فى الطب آسى ، وكان أجل من حضر لخدمة سدته الشريفة ، وأريكته المنيفة ، أبقراط زمانه ، وأفلاطون أقرانه ، أمهر من قال أنا طبيب ، من يكاد الداء إذا رآه بدون معالجة يطيب ، حضرة رئيس الأطباء وكشاف عموم الصحة البرية والبحرية أمير اللواء كلوت بك ، فبذل المجهود فى خدمة سعادته بتعليم التلامذة ومداواة المرضى وعمارة المارستان . . وألف هذا الكتاب خدمة لصاحب السعادة ، والعزة والسيادة ، وجعله هدية للعوام ومنحة ، لأنه جامع لما يحتاج إليه من الوسائط لحفظ الصحة . . . ولما برز للعيان وسلمه أمير اللواء المذكور إلى حضرة الألمعى اللوذعى الحاذق النجيب ، والماهر الحكيم الكيماوى الطبيب ، العارف بكثير من اللغات ، المنتخب لأكثر ألفاظ الطب من كلام الثقات ، ناظر مدرسة الطب الإنسانى ، الذى لا يوجد فى مصر نا له ثانى ، المعلم بيرون ، لتمكنه من العربية والفنون الأدبية ، وأمره بتهذيبه وتنقيحه ، كما أمرنى بمقابلته معه وتصحيحه ، وأن اجتنب فيه التعمق فى الألفاظ اللغوية ، ولا أذكر فيه إلا ما اشتهر من الألفاظ وإن كانت عامية ليعم نفعه العالم والجاهل ، والمفضول والفاضل . . . الخ »[2]

والكتاب يقع فى نحو ٤٠٠ صفحة ، وذكر فى أوله فصل موجز فى ١٦ صفحة عن المارستانات فى فى مصر فى العصر الإسلامى منقول عن خطط المقريزى ، كما استغرق فهرس الكتاب ٢٨ صفحة أخرى

وقد طبع من هذا الكتاب ١٠٠٠ نسخة فى الطبعة الأولى ، ويبدو أن الإقبال كان عليها شديداً ، وأنها نفدت فى مدى خمس سنوات فقد طبع هذا الكتاب مرة ثانية فى بولاق سنة ١٢٦٥ هـ ، وهى ثانى سنة تولى فيها عباس الأول حكم مصر ؛ ثم طبعت منه خمسمائة نسخة طبعة ثالثة فى بولاق سنة ١٢٧١ هـ فى عهد سعيد باشا ؛ وجاء فى مقدمة هذه الطبعة مما يدل على رواج هذا الكتاب ، وكثرة إقبال الناس على شرائه واقتنائه ما يلى : « . . هذا ولما تم طبع هذا الكتاب ، وظهر للناظرين ما فيه من الصواب وأنه سهل

---

(١) لاحظ هذا فهو يؤكد الغرض الأول من انشاء المدارس ووضع الكتب وترجمتها فى ذلك العصر .

(٢) أنظر هذا الكتاب ، ص ٢ — ٥ .

المأخذ للفوائد الطبية ، عرى عن التعمية الصناعية ، موشح بالأحاديث النبوية ، متوج بالآيات القرآنية ، تنافس الناس فى اقتنائه ، ورغب العقلاء فى اشترائه ، فدوا إليه أعناق الانتهاب ، وجعلوا قنيته من أقوى الأسباب ، وجاءوه من الشرق والغرب ، وضربوا فى الأرض بسببه أى ضرب ؛ فكأن ما حواه هو العجب ، وكأن أساليبه لبس لها ضريب فى الضرب ، فنعق على صرح نسخه غراب البين فبذل الراغبون فيه العين ، حتى صار أثراً بعد عين ؛ ثم كثر السؤال عليه ، وطلبوه من كل أوب وجاءوا إليه ، فأكثرهم أخفق مسعاه ، ورجع بخفى حنين إلى مأواه ، وبعضهم ظفر ببعض نسخ أخرجها الإفلاس ، فاشتروه بضعف ما كانت تأخذه به الناس ؛ ثم فقد شخصه وتعذر إليه الوصول ، حتى كأنه العنقاء أو الغول ومكث الأمر على ذلك مدة من السنين ، ولم تزل الناس على طلبه ملحين ، فصدر الأمر بأن يطبع منه خمسمئين . . » (١)

ثم طبع طبعة رابعة فى عصر اسماعيل فى بولاق سنة ١٢٩٦ ، وقال مصححه محمد بن قاسم فى مقدمة هذه الطبعة : « وبعد ، تم بعون سيد كل منحة ، طبع هذا الكتاب الموسوم بكنوز الصحة . . بعد ما طبع مرات كثيره ، لمنافعه الجمة العامرة الغزيرة . . الخ » (١)

ويدل على إنتشار هذا الكتاب بين عامة القراء من الناطقين بالضاد فى مصر وخارج مصر أنه طبع طبعات أهلية مختلفة ، فطبع فى مطبعة شرف سنة ١٣٠٢ وفى مطبعة عثمان عبد الرازق سنة ١٣٠٤ وذلك فى عهد الخديو توفيق باشا ، وفى المطبعة الميمنية سنة ١٣٢١ فى عهد الخديو عباس حلمى الثانى ؛ أى أنه ظل يتداول بين أيدى المصريين وينتفع به القراء من العامة ثلاثة أرباع القرن.

وأما الكتاب الثانى وهو « الدرر الغوال فى معالجه أمراض الأطفال » فقد ألف وترجم أيضاً تنفيذاً لرغبة محمد على النبيلة ، فإنه كما قال « كلوت بك » فى مقدمته للكتاب : « لما كان ولى النعم مهتما بعلاج الرعايا راغباً فى كثرة سوادهم وسلامتهم من الأمراض والبلايا ، وتحقق لدى سعادته أن الأطفال فى الديار المصرية معرضون لجملة أمراض ، ويهلك بها أكثرهم حينما تشتد به الأعراض ، وذلك من أقوى عدم كثرة السواد ، وخلاف ما هو واقع فى غيرها من البلاد ؛ نعم وإن كان نفس الاقليم لا يناسب سن الطفولية لكن عدم اعتقاد الأهالى فى الطب هو أكبر بليه ، ولاسيما والأمهات والمراضع لا يراعين نظافة الأطفال ولا يلتفتن لما يليق من العلاج وإن ساء الحال ، أمرنى أيده الله أن أجمع كتابا مختصراً فيما ينفع الأطفال المذكورة ، فجمعت هذا الكتاب امتثالا لأوامره النافذة المنصورة ، ورتبته على ثلاثة أقسام : الأول فى قانون صحة الأطفال ، أعنى ما ينبغى أن يفعل ليدرأ عنهم الأمراض الثقال ؛ والثانى فى أمراضها وعلاجها ؛

(١) انظر مقدمة الطبعة الثالثة ، بولاق سنة ١٢٧١ ؛ وإسكاروس ، شيء من الأدب والتاريخ .. الخ . البلاغ الأسبوعى ، العدد ١٠٠ ، ص ٢٢ .

والثالث فى تراكيب الأدوية التى يجب استعمالها ، ولم أضع فيه إلا ما انتخبته من أحسن الكتب المؤلفة أو ما تحققت نفعه بالتجربة والمنفعة . . الخ ،

وقال أيضاً الشيخ محمد عمر التونسى محرر هذا الكتاب ومصححه : « لما كان العلم أفضل مقتنى ، وأعظم شىء به اللبيب اعتنى ، وكان الواجب على العاقل التحلى بلطايفه ليخرج بها من الظلمات إلى النور . . وكان من أهمه بعد معرفه ما يجب به الإيمان علم الطب الذى استنار بدره فى هذا الزمان بمراحم صاحب السعادة الداورية ، والسيادة الخديوية صاحب الهمم السنية ، . . . . . افندينا الحاج محمد على فأحيى الفضائل بعد اندراس رسمها ، وكان أجل أطباء حضرته ، ومفتش عموم صحة أرباب دولته ، وأهل إيالته ، وخادم أريكته الشريفة وحضرته ، أمير اللوا كاوت بك ، فألف خدمة لسعادته جملة تآليف وضع فيها كل قول مشهور لطيف ، لكن لما كان البيك المذكور يعلم شفقة سعادته على رعاياه ، وأن نجاتهم من الأمراض غاية ما يتمناه ، ألف مختصراً جليلا ، فائقاً جميلا فيما يصلح للأهالى ، لينفع به المقدم والتالى وسماه « كنوز الصحة ، ويواقيت المنحة » ، وعرضه على أعتابه الكريمة ، وذاته الشفوقة الرحيمة ، فوقع من سعادته موقع القبول وبلغ البيك المذكور من رضاه القصد والمأمول .

لكن لما كانت مصر مدينة وخيمة ، وأن ما يولد بها من الأطفال يصاب بأمراض ذميمة ، أمره أيده الله أن ينتخب مختصراً يجمع فيه ما يصلح للأطفال من العلاج ، وما يذهب عنهم السقم الذى طغى عليهم وهاج ، لكمال شفقته على الصغير والكبير ، فشمر كاوت بك المذكور عن ساعديه ، وجمع هذا المختصر ووشحه بجميع ما يحتاج فى مرض الأطفال إليه ، وسلمه للشاب الأمجد الحكيم الأول ، محمد شافعى افندى ، فترجمه من اللغة الفرنساوية إلى العربية ، واجتهد فى الوقوع على المعنى فلم يخطىء سهمه الرمية ، فجاء كتاباً صغير الحجم كبير العلم ، وسميته « الدرر الغوال فى معالجة أمراض الأطفال . . . الخ » [1]

وقد طبع هذا الكتاب فى بولاق فى ربيع الثانى سنة ١٢٦٠ فى ١٣٢ صفحة من القطع الصغير وإتماماً للفائدة رأى محمد على أن يترجم هذان الكتابان إلى اللغة التركية فترجمهما عن اللغة العربيه مصطفى افندى التركى ، وطبع الأول فى بولاق سنة ١٢٦١ تحت عنوان « ترجمة كنوز الصحة » ، وطبع الثانى فى نفس المطبعة سنة ١٢٦٠ تحت عنوان « ترجمة تربية الأطفال » [2] .

( ) انظر خاتمة الكتاب ص ١٣١ — ١٣٢ .

(٢) انظر فهرس الكتب التركية الموجودة بدار الكتب المصرية .

٢ — الدكتور « برون » Dr Perron

تخير الدكتور كلوت كما ذكرنا نخبة من أطباء أوروبا وعلمائها الممتازين ليكونوا أساتذة المدرسة الطبية الجديدة ، وكان من بينهم « الأستاذ برون الكيماوى المعروف من مدرسة باريس »[1] لتدريس مادتى الكيمياء والطبيعة .

وكانت الصعوبة الكبرى التى اعترضت سبيل كلوت كما سبق أن ذكرنا هى جهل الأساتذة باللغة العربية وجهل التلاميذ باللغات الأوروبية عامة ، وقد عرفنا كيف تغلب على هذه الصعوبة باستخدام مترجمين للنقل عن الأساتذة ولترجمة الكتب .

غير أن أستاذاً واحداً استطاع — كما يبدو — أن يذلل هذه العقبة وحده ، فاستعان ببعض الألفاظ العربية — ولا شك — عند شرح دروسه ، ثم استعان أول الأمر بأحد مترجمى المدرسة من السوريين — وهو يوحنا عنحورى — ليترجم له محاضراته فى علم الطبيعة بعد سنوات قضاها فى الدرس والبحث والاتصال ببعض المحررين والمصححين من شيوخ الأزهر ، والتلمذ عليهم استطاع أن يترجم بنفسه محاضراته فى الكيمياء .

ذلك الأستاذ المستشرق هو الطبيب الكيماوى الدكتور « برون » ، وهو الوحيد من بين جميع الأساتذة الأجانب فى مدارس محمد على المختلفة الذى كان يعرف اللغة العربية ويعنى بالبحث فى كتبها ، والترجمة عنها وإليها .

كان « برون » عالماً بحاثة بكل ما تحمل هاتان الكلمتان من معنى ، فلم يكتف بعمله التعليمى الوظيفى ليغمض عينيه عن الحياة التى تحيط به ، وهى حياة جديدة فى بلد غريب ، وبين أناس يختلفون عن عشيرته من الفرنسيين الاختلاف كله فى الدين والأخلاق والعادات والملابس والثقافة ... إلخ .. إلخ ؛ ولكنه وهب وقته كله للبحث العلمى ولنوع خاص من البحث العلمى هو الحياة الثقافية قديماً وحديثاً فى الشرق عامة وفى مصر خاصة ، فشارك فى حركة الترجمة والنشر التى نشطت وقتذاك فى مصر ، وكانت له جهود جليلة فى الترجمة عن العربية إلى الفرنسية ، وعن الفرنسية إلى العربية ، وكانت له نظرات ناقدة نافذة — رغم مرارتها — إلى صميم الحياتين الثقافية والسياسية فى مصر حينذاك ؛ ولهذه النظرات قيمة عظيمة جداً لأنها صادرة عن أجنبى يدرك العيب الذى لا يدركه صاحب البيت ، وعن عالم يستطيع التحليل والمقارنة ، ويجيد الشرح والوصف ، وإدراك الأسباب والمسببات .

وقد سجل « برون » هذه الملاحظات فى خطاباته التى كان يرسلها أثناء مقامه فى مصر إلى صديقه المستشرق الشهير Jules Mohl ناموس الجمعية الآسيوية وعضو المجمع الفرنسى L'Institut de France فى باريس ؛ وقد نشر J. Mohl بعض هذه الخطابات فى الجريدة الآسيوية Journal Asiatique وبقى البعض الآخر دون أن ينشر حتى انتقل إلى ابن أخيه « مسيو أ . دى مول O. de Mohl بصفته الوريث لعمه .

---

(١) كلوت بك ، لمحة عامة الى مصر ، ج ٢ ، ص ٦٢٨ .

وفى سنة ١٩٠٨ ، كان أ . دى مول وزيراً مفوضاً ووكيلا لألمانيا فى صندوق الدين العام بالقاهرة ، فعثر بين أوراق عمه على أربع عشرة رسالة بخط الدكتور « برون » مرسلة من مصر إلى « جول مول » فى باريس ، فقدمها لصديقه المرحوم يعقوب أرتين باشا وكيل وزارة المعارف وقتذاك ، وعضو المجمع المصرى l'InstitutEgyptien عله يجد بها ما يهم مصر أو المجمع المصرى ، وذلك قبل إرسالها إلى باريس لتضم إلى أوراق جول مول المحفوظة بالمجمع الفرنسى .

وقد نشر أرتين باشا هذه الخطابات ، ومعها مقدمة تحليلية سنة ١٩١١ تحت هذا العنوان :

Yacoub Artin Pacha. Lettres du Dr. Perron, du Caire et d' Alexandrie, à M. Jules Mohl, à Paris (1838—1854) Le Caire. 1911.

وفى هذه الخطابات صور من نشاط « برون » العلمى فى الترجمة والنشر .

ودكتور « برون » فرنسى الأصل ، ولا نعرف شيئاً كثيراً عن حياته الأولى فى فرنسا قبل أن يحضر إلى مصر ، غير أنه يبدو أنه عنى وهو فى باريس — إلى جانب دراساته الطبية العلمية — بدراسة اللغة العربية ، وتتلمذ إذ ذاك على كبير مستشرقى فرنسا « سلفستر دى ساسى A. Silvestre de Sacy » كما تتلمذ على المستشرقين « جان جاك كوزين دى برسيفال » الأب ، و « ارمان كوزين دى برسيفال » الابن[1] .

ولسنا نعرف بالتحديد تاريخ مقدمه إلى مصر ، وإن كان « كلوت بك » يذكره ضمن الأساتذة الأول لمدرسة الطب المصرية بأبى زعبل ، فإذا صح أنه بدأ عمله بهذه المدرسة وقت إنشائها ، فإنه يكون قد حضر إلى مصر سنة ١٨٢٧ (١٢٤٢ — ١٢٤٣) أو قبلها بقليل .

وظل « برون » يدرس مادتى الطبيعة والكيمياء فى مدرسة الطب حتى بعد نقلها إلى قصر العينى .

ويبدو من رسائله إلى صديقه « مول » أنه كان فقيراً رقيق الحال ، فقد كتب إليه فى خطابه المرسل من الإسكندرية بتاريخ ١٠ أغسطس سنة ١٨٣٦ يقول : « أشر على بما ترى أنه خير وأفضل لى أن أعمله لأنى فقير لا أملك إلا مِدادى . . »[2] ، وقال فى خطاب آخر أرسله لصديقه من القاهرة فى ١٨ سبتمبر سنة ١٨٣٩ : « وأما أنا فقد عُهد إلى بإدارة مدرسة الطب . . . وهذا المنصب الجديد قد عاد على بشىء

---

(١) ذكر « برون » مرة فى أحد خطاباته لصديقه « مول » أنه سيكتب قريبا لمسيو كوسان ، وطلب من صديقه أن يبلغه أنه سيعمل التحليل (؟) الذى طلبه منه ، وأنه يشرفه جدا أن يتمتع بصداقة وثقة عالم كبير كسيو كوزان ، وفى خطاب آخر يطلب فى صديقه أن يسلم خطابا أرسله لأستاذه العزيز « كوزان دى برسيفال » l'autre est une seconde lettre quej'adresse à mon cher professeur monsieur caussin de preceval ....": Y. Artin. Lettres du Dr. Perron, pp. 51,52.

ومن الواضح أن « برون » يقصد « دى برسفال » الابن ، فان هذه الاشارات وردت فى خطابين بتاريخ ١٠ أغسطس سنة ١٨٣٨ ، و ٢١ مارس سنة ١٨٣٩ ، ودى برسفال الأب توفى سنة ١٨٣٥ ؛ انظر يوسف جيرا ، تاريخ دراسة اللغة العربية بأوروبا ص ١٨ .

(٢) Artin Pacha. Op. cit. p. 11.

من التحسين المادى — أعنى المالى — غير أن كل شيء هنا وقتى ورهين بتقلب الأحداث والأشخاص لدرجة أننى لو كنت أعرف أننى سأجد فى فرنسا — فى الحال — نصف ما أجمعه هنا لرحلت إليها توأ . . . »[1] .

ونجده فى نفس الخطاب قلقاً جداً لاهتمامه بطبع كتاب « الأنساب » الذى ترجمه عن العربية إلى الفرنسية ، وكان قد كلف صديقاً له فى باريس اسمه « مسيو دوبرات M. Duprat » أن يقوم عنه بنشره ؛ يقول « برون » فى خطابه لمول — وفيما يقول دليل واضح على رقة حاله : « لقد تركت له مسألة النفقات وتقديرها ، وإنى أرى أن كل شيء غير مناسب الآن للقيام بهذا النشر الذى أريده (وأريده أن يتم بأقل نفقات ممكنة ، وذلك دون إهمال ما يتطلبه ظهور الكتاب) إذ أنه قلما تصرف لنا مرتباتنا ، والحكومة مدينة لنا بمرتب سنة ، فإذا كان مسيو دوبرات يثق فى الثقة الكافية ، فإنى أرجو أن يتولى الطبع فى الحال ، واعداً إياه أن أقوم بسداد المبلغ منجماً كلما صرفت لنا الحكومة . . . وإلى هذا فإن مرتبى قد زاد فقد كنت أتقاضى ثلاثة أكياس فجعلها الباشا خمسة . . . »[2] .

ظل الدكتور كلوت بك مديراً لمدرسة الطب المصرية حتى سنة ١٨٣٤ حيث تخلى عن منصبه للدكتور « دفينو Dr. Duvigneau » ، وكان أستاذ الباتولوجيا والعيادة الداخلية ؛ وفى سنة ١٨٣٩[3] عين الدكتور « برون » مديراً لهذه المدرسة .

ولبث « برون » مديراً لمدرسة الطب ست سنوات ، وفى سنة ١٢٦١ (١٨٤٥) أنعم عليه محمد على باشا برتبة قائمقام ، وفى السنة التالية (١٨٤٦)[4] استقال من منصبه ، وعاد إلى فرنسا ، فأقام فى باريس ثمانى سنوات ، ثم شعر بالحنين إلى مصر فعاد إليها فى أواخر سنة ١٨٥٣ حيث عمل كطبيب حر فى مدينة

---

(١) Ibid. p. 12.

(٢) والكيس كان يساوى « جنيهات » ، أى أن مرتبه كان ١٥ جنيها فأصبح ٢٥ جنيها Ibid. pp. 13-14 ونلاحظ أن هذا الخطاب صادر عن مصر فى أواخر سنة ١٨٣٩ ، وكان نضال محمد على وقتئذ ضد الدولة العثمانية يستنفد معظم إيرادات مصر ، فلا عجب إذن أن أخرت الحكومة صرف مرتبات الموظفين .

(٣) يقول الدكتور عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٢٨٤ : « وإلى أوائل سنة ١٢٥٤ (١٨٣٧) كان دفينو مديرا لمدرسة الطب ، وخلفه الدكتور بيرون » ويفهم من قوله أن الدكتور « برون » تولى هذا المنصب فى سنة ١٨٣٧ ، ولكننا نستطيع أن نحدد — بوجه التقريب — تاريخ تعيينه مديرا للمدرسة ، ذلك أنه لم يشر إلى أى تغيير فى مركزه فى خطابه المرسل من القاهرة فى ٢١ مارس سنة ١٨٣٩ ، ولكنه تحدث إلى صديقه « مول » فى خطابه الصادر من القاهرة فى ٢٢ سنة ١٨٣٩ عن ترقيته إلى هذا المنصب ، وعن زيادة مرتبه تبعا هذه الترقية ، فيكون « برون »

الإسكندرية[١] ، ولا نعرف متى غادر مصر ثانية إلى وطنه ، ولكننا نعلم أنه مات فى باريس فى ١١ يناير سنة ١٨٧٦ فى نفس السنة التى توفى فيها صديقه ومراسله العلامة ج . دى مول .

وقد كتب المسيو « ارنست رينان M. Ernest Renan » مرثية للرجلين فى التقرير المقدم عن اعمال الجمعية الاسيوية لسنتى ١٨٧٥ — ١٨٧٦[٢] .

قال رينان فى رثائه للدكتور « برون » : « فى الحادى عشر من يناير اختفى أيضاً رجل ترك فى تاريخ دراستنا تذكاراً باقياً ، وأعنى به الدكتور « برون » ، وهو واحد من أوائل الملتحقين بهذه الفرقة من الرجال المستنيرين المقاديم الذين عضدوا — وهم فى مصر — مشاريع محمد على لتحضير هذا البلد .

« وبرون لم يدرس الشرق كباحث فقط ، وإنما كان يؤمن — ككل أفراد الجيل الذى كان من أبنائه — بالشرق ، كما كان يأمل فى انبعاثه من جديد ، وقد عمل هناك فى إخلاص نادر .

« وكان إنشاء طب عربى فرنسى جزءاً من عمله ، وقد أدى خدمات من نفس النوع لمنشآت مدارسنا فى الجزائر ، وكان يحب العرب ، ويعتقد فى إمكان ربطهم بالحضارة الأوروبية ، ممثلاً فى ذلك بعواطف خيرية ، ومتشبعاً بمبادىء فلسفة عاطفية . . . »[٣] .

ذكرنا فيما سبق أن « برون » كان يضمن خطاباته آراءه عن الحياتين السياسية والعلمية فى مصر ، وآراؤه عن الحياة السياسية لا تعنينا هنا ، وإنما يعنينا أن نعرض لآرائه عن الحياة العلمية ففيها مساس قوى بتاريخ الترجمة فى ذلك العصر .

كان محمد على قد أرسل البعوث إلى أوروبا ، وأنشأ المدارس الحديثة فى مصر وكانت جهود خريجى المدارس والبعثات مركزة أول الأمر فى ترجمة المؤلفات الأوروبية ، وتلا هذه الجهود جهود أخرى لنشر بعض المؤلفات العربية القديمة الهامة ، وقد أرخ « برون » لهذه الحركة — حركة الترجمة والنشر — تأريخاً لطيفاً مفيداً ، فأرسل لصديقه « ج . مول » فى سنة ١٨٤٢ خطاباً تحدث فيه عن المدارس الجديدة ومطبعة بولاق ، فنشره فى الجريدة الاسيوية — المجموعة الرابعة ، المجلد الثانى سنة ١٨٤٣ — تحت عنوان :

" Lettre sur les écoles et l'imprimerie du Pacha d'Egypte, par m.a. Perron à m.j. Mohl. 22 Octobre 1842.)[٤]

وقد استطاع « برون » أن يندمج فى الوسط العلمى المصرى بحكم اشتغاله بالتدريس ، وبحكم معرفته باللغة العربية ، غير أن معظم الأجانب الموجودين فى مصر وقتذاك للمساهمة فى نهضة محمد على التعليمية

---

(١) وقع برون على خطابه المرسل من الأسكندرية فى ١٩ يناير سنة ١٨٥٤ هكذا :
"Perron, médecin sanitaire à Alexandrie. "Voir. Artin Pacha. Op. Cit p. 109.

(٢) Journal Asiatique, 7 me série, tome VIII, 28 Juin 1876.

(٣) Artin Pacha. Op. Cit. P.7.

(٤) Journal Asiatique. 4 me, serie, t. II. 1843. pp. 5-23.

والإصلاحية كانوا يجهلون اللغـــة العربية ، وهم قوم مثقفون يحبون البحث والقراءة ، وليس فى مصر مكتبات افرنجية أو محال لبيع الكتب الأجنبية ، لهذا كون هؤلاء الأجانب فى القاهرة جمعية أسموها « الجمعية المصرية Societè Egyptienne[1] » تحدث عنها « برون » كثيراً فى خطاباته لصديقه « مول » فذكر أنها أسست فى سنة ١٨٣٥ وكان غرضها الأول إنشاء مكتبة تضم أكثر عدد ممكن من الكتب ، وخاصة ما يتحدث منها عن الشرق : تاريخه وجغرافيته ، وأديانه ، وعاداته . . . الخ . . . الخ

وكانت مالية الجمعية تتكون من :

١ — اشتراكات الأعضاء ، واشتراك العضو فى السنة مائة وخمسة قروش .

٢ — هبات الرحالة الأوروبيين الذين يمرون بالقاهرة ، فإن أى سائح أوروبى كان يستطيع أن يتردد على الجمعية ويتمتع بالقراءة فى مكتبتها على شرط أن يقدمه للجمعية أى عضو من أعضائها .

وكان هؤلاء السائحون يقدرون ما تؤديه الجمعية من فوائد ثقافية للجاليات الأوروبية فى القاهرة ، فكانوا يتركون — عند رحيلهم — بعض الجنيهات — كهبة — فى صندوق الجمعية .

وقد تطورت أغراض الجمعية بعد نحو ست أو سبع سنوات من تأسيسها فأصبح من أغراضها طبع ونشر الكتب المتصلة بالشرق ؛ يقول « برون » عضو الجمعية وسكرتيرها فى خطابه المرسل من القاهرة بتاريخ ٢٨ أكتوبر سنة ١٨٤٢ : « وعندنا الآن — تحت الطبع — مذكرات شيقة جداً عن الموقع الحقيقى لبحيرة قارون بالفيوم ، وعن حدودها ، والعلاقات القديمة بينها وبين فيضان النيل .. الخ ، وهذا الكتاب من وضع « مسيو لينان » الرئيس الحالى للجمعية المصرية . . . [1] »

وواضح من هذا الخطاب أن رئيس الجمعية فى سنة ١٨٤٢ هو المهندس الفرنسى الشهير مسيو « لينان » وكان سكرتيرها فى تلك السنة وفى سنوات مقبلة هو الدكتور « برون » وبفضل صلته بمحولى مول وافقت

---

(١) C. Rochfort Scott السائح الانجليزى مر بمصر حوالى سنة ١٨٣٥ ، وقد Artin Pacha, Op. cit. pp.15, 21-25, 76-77 وقد وصف هذا السائح فى كتابه : Rambles in Egypt and Candia,vol I.p. 319 ما تعانيه الجالية الأوروبية المثقفة فى القاهرة من قلة الكتب ثم أشار إلى هذه الجمعية ، وما تؤديه من خدمات ، قال : « أما عن الكتب (فى القاهرة) فانه من العسير الحصول على أى كتاب ، اللهم إلا الكتب الكثيرة التداول التى نجدها فى مكتبات الدرجة الثالثة عند الايطاليين ؛ أما الصحف فانا لا نحصل عليها إلا مرة واحدة فى الشهر .. » ثم أشار إلى الجمعية المصرية بقوله : « وأخيرا تكونت جمعية اسمها الجمعية المصرية أسسها بعض الأجانب فى القاهرة ، وستقدم للرحالة خدمات كثيرة فى المستقبل ، فنيها مكتبة ، وفيها سيكون مركز صالح لاجتماعهم ، وسكرتيرها طبيب انجليزى اسمه : فالن Walne » وقد تولى حكمكيان بك رئاسة هذه الجمعية أكثر من مرة ، وفى مذكراته المخطوطة المحفوظة فى المتحف البريطانى . M

Memoires inédits du Hekekyan Bey, deposés en manuscrit au British Musium à Londres..

أحاديث كثيرة عن هذه الجمعية .

(٢) Artin Pacha, Op. cit. pp 23, 76-77

جمعية الأسيوية على أن تقدم لزميلتها الجمعية المصرية المساعدات الممكنة لبيع كتبها ومنشوراتها فى باريس، ويقول برون لصديقه فى نفس الخطاب « اطلعت الجمعية على خطابكم الذى تعرضون فيه مساعدة الجمعية الأسيوية لتسهيل بيع الكتب التى ستنشرها ، وقد قبل عرضكم هذا بكل سرور ، وإنى أقدم لكم شكر الجميع . . . الخ »

وقد اعترضت هذه الجمعية صعوبات كثيرة ، ففى عهدها الأول [ما بين ١٨٣٥ و ١٨٤٢] قام نزاع شخصى بين رئيس الجمعية دكتور فالن Dr Walne وسكرتيرها العام دكتور أبوت Dr. Abbot [١] ، وأدى هذا النزاع إلى انفصال بعض الأعضاء وتكوينهم جمعية جديدة أسموها الجمعية الأدبية Association Littéraire. ؛ يقول برون فى خطابه السابق « وهذه الجمعية المنفصلة تضم نحو الستين عضواً ، وقد دفعوا رسم التأسيس ، وتنوى هذه الجمعية أن تعمل على النشر وخاصة النصوص الهيروغليفية ، وتحاول أيضاً إنشاء مكتبة » .

أما الجمعية المصرية فقد انتهت حياتها إلى الانحلال فى عهد متأخر ، فضمت مكتبتها القيمة إلى المكتبة الخديوية (دار الكتب المصرية الآن) فى سنة ١٨٧٣ أو سنة ١٨٧٤ تنفيذاً لوصية أعضائها الأخيرين حكيكيان بك Hekekian Bey ومسيو توربون M. Thurborn وكانى بك Cany Bey .

ولم يقتنع «برون» باتصاله بأنداده العلماء الأوربيين المقيمين فى مصر والوافدين عليها ، لأنه كان معنياً بالبحث فى الكتب العربية وترجمتها والكتابة عن مواضيع مختلفة من تاريخ الشرق ، وقد أتى إلى مصر وعربيته ضعيفة دون شك فعمل على أن يزيد معرفته بهذه اللغة ولم يلبث أن وصفه صديقه وأستاذه الشيخ محمد عمر التونسى بأنه « العارف بكثير من اللغات ، المنتخب لأكثر ألفاظ الطب من كلام الثقات .. (المتمكن) من العربية والفنون الأدبية [٢] » .

وكان فى مدرسة الطب التى درس فيها وتولى نظارتها هيئات مختلفة تعمل مشتركة لترجمة الكتب الطبية إلى اللغة العربية ، أهمها هيئة المترجمين وهيئة المحررين والمصححين ، وأعضاء الهيئة الأخيرة كلهم من خيرة مشايخ الأزهر المعروف عنهم الدقة فى البحث والشغف بالقراءة ، فكان منهم فى مدرستى الطب البشرى والطب البيطرى الشيخ محمد عمر التونسى ، والشيخ نصر أبو الوفا الهوريني ، والشيخ أحمد حسن الرشيدى ، والشيخ محمد الهراوى ، والشيخ سالم عوض القنياقى ، والشيخ مصطفى كباب ... الخ

وقد اتصل الدكتور برون بهؤلاء المشايخ وأفاد منهم ، وقد كان له رأى خاص فى علماء الأزهر فى

---

(١) هما طبيبان انجليزيان كانا فى خدمة محمد على باشا .

(٢) كحوت بك ، كنوز الصحة ويواقيت المنعة ، تعريب الشافعى ، ص ٤ .

ذلك الوقت ،فيه — رغم قسوته ومرارته — بعض الخطأ وبعض الصواب مما سنعرض له بالتحليل الوافى عند كلامنا عن المحررين والمصححين ، وعند تقدير المعلم للترجمة فى ذلك العصر ،غير أن اثنين فقط من علماء مصر الذين اتصل بهم برون حازا إعجابه ، وتتلمذ عليهما وأشار اليهما فى خطاباته بالإعجاب والإجلال ، واعترف لهما بالأستاذية .فقد أعاناه وساعداه فى بحوثه وترجماته العلمية المختلفة ، وهما : الشيخ محمد عياد الطنطاوى ، والشيخ محمد عمر التونسى .

وقد عنى «برون» كمؤلف بالمادتين اللتين كان يدرسهما فى مدرسة الطب وهما الكيمياء والطبيعة ، فوضع فيهما كتابين كبيرين ترجما إلى اللغة العربية ،أما الكتاب الأول فهو « الجواهر السنية فى الأعمال الكيماوية » ألفه « برون » وألقاه على التلامذة أولا بأول فاستفدت منه فى علم الكيمياء فوائد جمة ، فلما نقلت مدرسة الطب إلى قصر العينى وعين «برون» ناظرا لها « وكان إذ ذاك ضرب بعطن فى اللغة العربية ، وصار يفهم النكات الأدبية ، فبحث فى القواميس على الألفاظ الطبية والكيماوية ، وأسهر ليله فى نفع المدرسة بكل فكرة وروية ، ،فلما ووفق على طبع الكتاب قام هو بترجمته بنفسه ، وأشرف على مراجعته الشيخ محمد الهراوى فراجع ثمان وخمسين ملزمة ،ثم توفى فأشرف على مراجعة بقية الكتاب أستاذ « برون» وصديقه الحميم الشيخ محمد عمر التونسى الذى يقول فى مقدمة الكتاب : « على أن جل هذا الكتاب كان أملى على من قبل ذلك ، وصححت أكثره بلا مشارك ، ولم آل جهداً فى تنقيحه والله المستعان ، وساعدنى فى ذلك معرفة مؤلفه باللغة العربية لأنى قابلت كل مشكلة معه على أصوله الفرنسية . . [1] . وقد ساعده فى هذه المراجعة تلميذ « برون » وخلفه فى تدريس مادة الكيمياء بمدرسة الطب الشيخ درويش زيدان ، والدكتور حسين غانم الرشيدى .

والكتاب ضخم جدا فإنه يقع فى ٣ أجزاء ، عدد صفحات الأول ٦٧٦ والثانى ٤٩٤ والثالث ٤٤٠، وألحق بالجزء الأخير ذيل فى ١١٩ صفحة أخرى لشرح الآلات الواردة فى الكتاب ،جاء فى مقدمته مايلى: « . . . وبعد فلما من الله سبحانه وتعالى بإتمام كتاب الكيمياء للباهر فى جميع الفنون ، ناظر مدرسة الطب البشرى الشهير بيرون ، وكانت فيه أعمال جمة تحتاج إلى آلات معرفتها مهمة ، وكان لم يذكر فى الكتاب إلا القليل مع أن عليها فى الأعمال التعويل ، وكان عـــدم ذكر جميعها فى صلب الكتاب مما يحصل به الأطناب . . . فقصد أن يجمع جميع الأشكال ويجمعها كالذيل ليكون بها الإكمال ، ولأجل أن تكون كلها مجموعة فى ورقات قليلة لتسهل مراجعتها فى المهمات الجليلة ، فجمعها فى هذه الورقات،ووضحها أتم توضيح كما هو المقصود للراجعات ، وأمرنى أن أرتبها على حروف المعجم ، لتكون فى المراجعة أسهل وأقوم ، فامتثلت أمره لما فيه من الفوائد ...الخ » .

---

(١) انظر مقدمة الجزء الأول .

ويسرنا أن نشير هنا إلى أن «برون» وتلاميذه مصححو الكتاب قد وفقوا توفيقا كبيرا فى ترجمة أسماء كثير من هذه الآلات ، فى هذا الملحق أسماء كثير من الآلات لازالت تستعمل حتى الآن فى كتب الكيمياء الحديثة منذ وفق هؤلاء الرواد فى تخيرها ، ومنها مثلا : الانبوبة ، الأنبيق ، البودقة ، الجفنة جهاز تعيين الوزن النوعى للهواء والغازات ، دورق ولف ، المخبار ، المرشح . . الخ[١]

وكان برون قد أعد لكل جزء فهرسا خاصاً ، ولكنه رأى بعد إتمام الكتاب أن يجعل له فهرسا عاما اقتداء بمؤلفى أوروبا ، يقول الشيخ عمر التونسى « أما بعد فإن كتاب الكيمياء الآن وقد تم ، ومسك ختامه على المدارس قد عم ، وكان قد عمل لكل جزء منه فهرسة مستقلة ، . . وحيث أن أهل أوروبا يجعلون لمثل هذا الكتاب النفيس فهرسة جامعة أمرنى مؤلفه أن أتتبع الفهارس الثلاث ، وأجعلها فهرسة عامة نافعة اقتداء بأهل أوروبا فى فى مؤلفاتهم .. وأن أرتب الفهرسة المذكورة على أوائل حروف المعجم لتكون لدى المراجعة أسهل وأحكم .. فأجبته إلى ذلك حسب مرامه .. الخ »[٢]

وقد تم طبع الجزء الأول فى بولاق فى سنة ١٢٥٨ وتم طبع الجزء الثالث فى اليوم الخامس من شهر ربيع الأول سنة ١٢٦٠ .

أما الكتاب الثانى فقد سماه برون « الأزهار البديعة فى علم الطبيعة » ، وقال فى مقدمته : « إنى لما استخدمت بمدرسة الطب البشرى معلماً للكيمياء من مدة سنتين وقمت بما وجب على فيهما بما تقر به العين ، طلب منى أن أضم لتعليم علم الكيمياء علم الطبيعة فامتثلت الأمر واقتطفت من ورضة كتب هذا الفن كل زهرة بديعة ، وجمعت هذا الكتاب من أحاسن الفن المذكور . . » ثم يقول : « ثم إنى لفهمى بعض الألفاظ العربية تجنبت من الألفاظ الفرنساوية ما يعسر ترجمته إلى العربية ، هذا وقد رتبت هذا الكتاب على جزئين ، أولها فى العلوم الطبيعية وثانيهما فى الكائنات الجوية .. »[٣]

وقد ترجم هذا الكتاب يوحنا عنحورى ، وأشرف على مراجعته وتحريره الشيخ محمد الهوارى ، وطبع منه ألف نسخة فى بولاق سنة ١٢٥٤ ، أى قبل أن يتم طبع الكتاب السابق بنحو ٦ سنوات ، غير أن هذا الكتاب كان أول كتاب فى علم الطبيعة ترجم إلى اللغة العربية فلهذا أقبل عليه تلاميذ المدارس « وانكبوا

---

(١) أنظر هذا الملحق ، ص ٢ ، ٦ ، ٩ ، ١٦ ، ٢٢ ، ٣٤ ، ٤٦ ، ٤٧ .

(٢) ص ٦٨ .

(٣) ص ٥ و ٦ من مقدمة الكتاب .

عليه ما بين مطالع ودارس ، وهبت عليه من القبول نسمة صبا ، فتناهبته الأقطار وبددت نسخه أيادى سبا ، واحتيج إلى إحياء مواته ، ونشر رفاته [١] ، فصدر الأمر بطبعه طبعة ثانية فى عهد عباس الأول ، فطبع فى بولاق سنة ١٢٦٩ .

والآن آن لنا أن نترك الحديث عن برون كمؤلف لنستأنف الحديث عنه كمترجم وعن جهوده فى الترجمة فى الفصول التالية .

---

(١) ص ٣ من مقدمة الطبعة الثانية .

obeikandl.com